﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكر سبحانه في الآية السّابقة أنَّه يعلَمُ ما تُخفي الصُّدُورُ وما تُعلن، وبيَّن علمه الشَّامل وقدرته المطلقة، وكان ذلك الحديثُ يتضمَّنُ الإخبار بالجزاء على الأعمال الَّتي تصدُرُ من النَّاس جميعًا؛ بيَّن في هذه الآية الزَّمن الَّذي يُحاسِبُ فيه النَّاس، وهو يومُ القيامة الَّذي تجدُ فيه كلُّ نفس ما قدَّمت من عملٍ مُحضَرًا، وتُحاسَبُ على الصَّغير والكبير والنَّقير والقِطمير.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُّحْضَرًا﴾: اسم مفعول من الفعل (أحضر)، والجذر (حَضَرَ) يدلُّ على إيرَادِ الشَّيْءِ، وَوُرُودِه وَمُشَاهَدَتِه، وحضر الشَّيء أو الأمر: أتى، جاء وتهيَّأ[1]. والمراد: يوم تجدُ كلُّ نفس عملها بارزًا حاضرًا مشاهَدًا بين أيديها في يوم القيامة.

2) ﴿أَمَدًا﴾: الجذرُ اللُّغويُّ للكلمة هو (مَدَي)، أو (أَمَدَ)، والأَمَدُ: مُنْتَهَى كلِّ شيءٍ وآخرُه[2]، والفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الأبَدِ: أنَّ الأبَدَ: مُدَّةٌ مِنَ الزَّمانِ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ، والأَمَدُ: مُدَّةٌ لَها حَدٌّ مَجْهُولٌ، والمُرادُ في الآية: بيانُ أنَّ كلَّ نفسٍ ترجو أن يكون بينها وبين عملها السَّيِّئ زمنٌ بعيدٌ أو مسافةٌ بعيدة لشدَّة ندمها على ما فعلت.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يبيِّنُ اللهُ في الآية هولَ اليَومِ الَّذي يُنفّذ فيه الوعيدُ، وهو يومُ الجزاء حينَ تجدُ كلُّ نفس من النُّفوس المكلَّفةِ ما عملت من عَمَلٍ يقرِّبُ إلى اللهِ، ينتظرها موفَّرًا كاملًا مُشاهَدًا في الصُّحُفِ لتُجزى به، فتَنْعَمَ به، وتُسرَّ بأمر اللهِ تعالى، وما عملت من عملٍ سيِّئ يُسْخِطُ

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والزمخشري، أساس البلاغة، أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (حضر).
(2) الخليل، العين: (مدي).

اللهَ؛ فإنَّها تجده في انتظارها أيضًا، فتتمنَّى لو أنَّ بينها وبين هذا العملِ - الَّذي أسْخَطَ اللهَ - زمنًا بعيدًا، ومسافةً بعيدة، حتَّى يتأخَّر تنفيذُ الجزاء؛ لعِظَم أسَفِها وشدَّةِ حُزنها، وما ينالُها من الإهانة والعذابِ في ذلك الموقف.

ثم أعاد تعالى تحذيرَنا نفسَه - رأفةً بنا ورحمةً - لئلَّا يطول علينا الأمدُ فتقسُوَ قلوبُنا، وليجمع لنا بين التَّرغيبِ الموجبِ للرَّجاء والعملِ الصَّالح، والتَّرهيبِ الموجبِ للخوف وتركِ الذُّنوب لنستعدَّ لذلك اليوم العصيب، ونجتهد في تقديم الطَّاعات والأعمال الصَّالحات، ثُمَّ ذكَّرنا سبحانه بكمالِ رأفته وواسع رحمته.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بديع التَّصدير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾:

التَّذكير بِعِظَمِ ذلك اليوم، وبيان أحوال النَّاس فيه

سبق الحديثُ عن يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: 25]، وهذه الآية قد صُدِّرت بلفظ (يوم)، وهذا التَّشابه في المطلعين نظمًا ومعنًى يُشيرُ إلى تكامل الآيتين: حيث إنَّ كلتيهما تُذكِّرُ بيوم القيامة، والمحاسبة على الأعمال فيه.

دلالة الكناية بـ﴿يَوْمَ﴾ عن (القيامة):

يومُ القيامة يومٌ عظيمٌ مُتفرِّدٌ بطوله ودوامه، ومُتميِّزٌ بأحداثه وأهواله

التَّكنيةُ عن القيامةِ باسم الزَّمان ﴿يَوْمَ﴾: الغرضُ منه الاهتمامُ بهذا اليوم، ولَفْتُ أنظار النَّاسِ إليه، فهو ليس يومًا كأيّام الدُّنيا الَّتي تنقضي بسرعة، بل هو يومُ الخلود والبقاء المستمرِّ، وهو يومُ الحساب والفصل بين الخلائق، ويومُ الثَّواب والعقاب؛ إذْ توزن فيه أعمال كلِّ العباد من أوَّل خلق آدم إلى آخر أيَّامهم، ولا يعلمُ مدَّة هذا اليوم إلَّا اللهُ تعالى، علمًا أنَّ اللهَ - تبارك وتعالى - قد قرَّر في محكم التَّنزيل أنَّ يومًا عنده كألف سنة ممَّا يعدُّ البشر فوق الأرض، وإنَّ يومًا كخمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ

سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجّ: 47]، وقال جلَّ شأنه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: 4].

بلاغة تقديمِ ظَرْفِ الزَّمانِ على عامله:

تعظيم شأن يوم القيامة؛ إذ هو الغرض المَسوقُ له الكلام

صُدِّرت الآية الكريمة بتقديم لفظ ﴿يَوْمَ﴾ عن سائر عناصر الجملة؛ إذ أصل نظم الكلام: تَوَدُّ كلُّ نفسٍ لو أنَّ بينها وبَيْنَ ما عَمِلَتْ من سوءٍ أمدًا بعيدًا، يَوْمَ تجد ما عملت من خير مُحْضَرًا، فَقُدِّمَ الظَّرف على عامله، وهو أسلوبٌ من أساليب العرب حيثُ يقدِّمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى، والمرادُ من هذا التَّقديم التَّنبيهُ إلى عظمة ذلك اليوم وضرورة الاهتمام به.

ويحتمل النَّظمُ أن يكون لفظ ﴿يَوْمَ﴾ معمولًا لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28]، ويكون المعنى: ويُحذِّرُكم الله نفسه يومَ تجدُ كلَّ نفس ما عملت أمامها مُحضرًا، وهو رأيُ الزَّجَّاج، أمَّا ابنُ الأنباري؛ فيرى أنَّ العامل في الظَّرف هو لفظ ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28]، ويكون التَّقدير: (وإليه المصيرُ يومَ تجد كلُّ نفس)، ويجوز أن يكون الظَّرفُ منقطعًا على إضمار فعل (اذكر) قلتُ: وكلُّ هذه الأقوال يتَّسعُ لها النَّظمُ الجليل[1].

دلالةُ إضافة ﴿كُلُّ﴾ إلى المفرد المُنَكَّرِ ﴿نَفْسٍ﴾:

إفادة الاستغراق لجنس النُّفوس، مع الإشعار بإيقاع الوَصْف على كلِّ فرد منها

﴿كُلُّ﴾: اسمٌ يفيد الاستغراقَ والإحاطة بالأفراد والأجزاء، وهو هنا يفيد استغراق جميع الأنفس، حيثُ لا تشذُّ نفسٌ عن المعنى الموصوف والمُتحَدَّث عنه، وقد جيء بلفظ ﴿كُلُّ﴾ متبوعًا بلفظ ﴿نَفْسٍ﴾ نكرة؛ ليُفيد النَّظمُ أنَّ كلَّ نفسٍ تجدُ على انفراد ما قدَّمت من أعمال، وتُحاسبُ منفردة وتتحمَّلُ مسؤوليَّة أعمالها منفردة، ولو قيل: (الأنفسُ كلُّها) لما أفهم هذا التَّعبيرُ المسؤوليَّة الفرديَّة مثل المعنى الواضح الجليِّ الَّذي جاء عليه النَّظم الجليل.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: التركي: 5/98.

بلاغة المجاز العقليّ في توصيف دواخل الإنسان:

كـلُّ امـرئ بما كسب رهين

قوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ فيه تشخيص للنَّفس وللعمل، فالنَّفس تعبيرٌ عن دواخل الإنسان، وقد جيء في الآية بالنَّفس، وما اختارته هي من الخير أو السُّوء، فذُكِرت النَّفسُ باعتبارها الشَّخصَ صاحبَ النَّفس الَّذي أفلح؛ إن زكَّاها، وخاب؛ إن دسَّاها، فالمعنى هنا يرتبط بِمَعْنَيَين مجازيَّين: أوَّلهما: أنَّه أطلق النَّفس، وأراد صاحب النّفس؛ لأنَّ النَّفس هي صاحبة القرار والاختيار، فالتَّعبيرُ من قبيل المجاز العقليِّ، علاقته الحاليَّة، وثانيهما: أطلق العمل على أنَّه من مُنجزات تلك النَّفس، وما اقترفت، وهذا من قبيل المجاز العقليِّ أيضًا.

دلالة استعارة لفظ ﴿مُّحْضَرًا﴾ في التَّعبير عن أثر الأعمال:

تـصـويـر جـزاء الأعـمـال في صـورة الـشَّيء المـشـهـود المُـحـضـر، فلا مجال للإنكار

الإحضارُ: جَعْلُ الشَّيْءِ حَاضِرًا، ويُطْلَقُ على الْإِعْدَادِ، وَمَا أَحْضَرَتْهُ النَّفس: هُوَ مَا أَسْلَفَتْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وقدَّمته، والعمل لا يمكن وجدانه يوم القيامة على الحقيقة، فلا بدَّ فيه من التَّأويل، فقد يكون وجُود العمل مُحْضَرًا، أي: مكتوبًا في الكتاب[1]، فتجد كلُّ نفسٍ صحائف أعمالها منشورة، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: 29]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6][2]، وحينَ يجدُ المرءُ صحائف أعماله ويقرأُ ما فيها، فإنَّه يستحضرُ الأعمال الَّتي عملها في الدُّنيا، ويتذكَّرُها، ويراها شاخصة حاضرة بين يديه، والتَّعبيرُ من قبيل المجاز اللُّغويِّ على طريقة الاستعارة التَّصريحيَّة، أي: إنَّه لَمَّا كَانَتِ الْأَعْمَالُ تَظْهَرُ آثَارُهَا مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ يَوْمَئِذٍ؛ عُبِّرَ عَنْ ظُهُورِ آثارها بالإحضار لشبهه بِهِ، كَمَا يُحْضَرُ الزَّادُ لِلْمُسَافِرِ، فهو استعارة عن

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/273.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/14.

أثر ظهور الأعمال، فما عَمِلَتْ النُّفوس في الدُّنيا مِنْ خَيْرٍ - وإن كان مثقال ذرَّة - يكونُ مُحْضَرًا لديها مُشاهدًا في الصُّحف[1].

وقد يكون إحضار العمل بمعنى: وجود الجزاء عليه[2]، فيجد جزاء الأعمال، وعلى كلا الوجهين، فالتَّرغيبُ والتَّرهيبُ حاصلٌ[3].

سِرُّ إيثار التَّعبيرِ باسم المفعول ﴿مُّحْضَرًا﴾ بدل اسم الفاعل (حَاضِرًا):

في إحضار الأعمال أمام كاسبها تبكيتٌ وتهويل

في قوله تعالى: ﴿مُّحْضَرًا﴾، من التَّهويل ما ليس في (حاضِرًا)، فإنَّ الإحضار إنَّما يَتِمُّ فيما هو موجود غائب، والأعمال موجودة محفوظة عن البطلان، يُحْضِرُها الله تعالى لخلقه يوم القيامة، لا حافظ لها إلّا اللهُ سبحانه[4].

فائدة اختلاف معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾:

العطف للاشتراك في الحكم، والاستئناف للتَّفريق بَيْنَ الوعد والوعيد

الواوُ في قولِهِ: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ فيه قولان:

الأوَّل: وهو قول أبي مسلم الأصفهانيِّ: الواوُ: واوُ العطفِ، فيكونُ قولُهُ: ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مفعولًا للفعل ﴿تَجِدُ﴾، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ معطوفٌ عليهِ، كأنَّهُ قيل: وما عملت من سوءٍ محضرًا[5]، فيكونُ الخبران موصولَين بالواو، ويكون التَّقدير: تجدُ ما عملت من خير، وتجدُ ما عملت من سوء[6].

والقول الثَّاني: أنَّ الواو للاستئناف النَّحوي، فلا تكون الآية دليلًا على القطع بوعيد المذنبين؛ لأنَّه نصَّ في جانب الثَّواب على كونه مُحضرًا، وأمَّا في جانب العقاب؛ فلم ينصَّ على الإحضار، بل ذكر أنَّهم يودُّون الفرار منه، والبعد عنه، وذلك يُومئُ إلى أنَّ جانب

(1) ابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 30/151، الآلوسي: روح المعاني: 2/122.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/273.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/14.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 30/151، الآلوسي: روح المعاني: 2/122.
(5) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/515 - 516.
(6) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/15.

الوعد أولى بالوقوع من جانب الوعيد[1]، وهذا من عظيم كرم الله تعالى ورأفته بعباده، فناسب أن يُختم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

دلالة التَّمنِّي في قوله: ﴿تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدَاۗ﴾:

في يوم القيامة، يتحسَّرُ المرءُ على السُّوء قليله وكثيره

الأمد: الغاية الَّتي ينتهي إليها، ونظيره قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ٣٨﴾ [الزُّخرف: 38]، والمراد من هذا التَّمنِّي معلوم، سواء حُمِلَ لفظ الأمد على الزَّمان أو على المكان؛ إذ المقصود تمنّي بُعده[2]، وقد خرج هذا التَّمنِّي إلى غرض التَّحسُّر المرافق له الَّذي يكشف عن تعقيد خلجات النَّفس في ذلك المشهد العظيم المُروِّع، فمهما كان ذلك السُّوء صغيرًا وحقيرًا - والذي يَدُلُّ عليه تنكير ﴿سُوٓءٍ﴾ - فإنَّ الموقف نفسه لا ينفكُّ عن تلك النَّفس: أنَّها تتمنَّى زوال أثر ذلك السُّوء عنها، وهي تعلم أن لا مناصَ إلى ذلك، فتلجأُ إلى تمنّي خروجه عن دائرة الوجود الذِّهني، فتدفع به عنها إلى أمد بعيد؛ إذ يُرجى ألَّا تلقاه أبدًا، فَتَهدأ، وتَسْعَد بذلك.

سِرُّ الكناية الزَّمنيَّة في قوله: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدَاۗ﴾:

كـلُّ النُّـفـوسِ تـرغـبُ عـدم رؤية ذلك اليوم لفظاعته وهول مطلعِه

الأمد زمانيٌّ بقرينة ﴿يَوۡمَ﴾، والمقياس المُرشِّح لقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ﴾ هو الزَّمن، أي: بين النَّفس وبين ذلك اليوم: ﴿أَمَدَۢا بَعِيدَاۗ﴾، والمقصود لازمه، وهو عدم رؤيته لغاية هوله، وفي إسناد الوَدادة إلى كلِّ نفسٍ، سواءٌ كان لها عمل سيِّئ أم لا، بل كانت متمحِّضةً في الخير - من الدَّلالةِ عَلى كمالِ فظاعةِ ذلك اليوم، وهول مطلعِه ما لا يخفى[3]، وذكر أبو حيَّان النَّحوي: معنى ﴿أَمَدَۢا بَعِيدَاۗ﴾: "غاية طويلة، وقيل: مقدار أجله، فدلَّ بذلك على الزَّمان الطَّويل"[4].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/15.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/16.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/24.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 3/102.

بلاغة المقابلة بين الخير والسُّوء:

كشف الفروق بين العمل الصَّالح والعمل السّيِّئ للتَّذكير والاعتبار

في الآية الكريمة مقابلة رائعةٌ بين الخير وإحضاره، والسُّوء وتمنِّي بُعده، والضّمير في قوله: ﴿وَبَيْنَهُۥ﴾ يعود إلى ما عملت من السُّوء، ولعلَّ من فوائد هذه المقابلة: أنَّه لمَّا ذُكِرَ الخيرُ؛ لم يظهر فرح النَّفس به، وأنَّه لمّا ذُكِرَ السُّوء؛ أدار الاهتمام كلَّه نحوه، وقال: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، ودلالة ذلك: أنَّ السُّوء من الأعمال مهما صَغُرَ في ذلك الموقف؛ فإنَّه خِزْيٌ على صاحبه، وندامة، وسيكون يومها هو الشَّاغل الوحيد لها.

في يوم القيامة، النَّفسُ المحسنة تستعجلُ جزاء ما قدَّمت، والنَّفس المسيئة تنفرُ من السُّوء، وتودُّ بعده وعدم رؤيته

في العبارتين المتقابلتين: ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾، و﴿مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، يُلحَظ الانسجامُ بين النَّظم والمعنى، وكأنّ النَّظم يُصوِّرُ ذلك التَّقابل بانتظام الكلمات فضلًا عن معناها؛ إذ نلحظ أنَّ في قوله: ﴿خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ ذلك الإيجاز في وصف الحدث في كلمتين متآخيتين لا يفصل بينهما لفظ أو حرف، فيدلُّ على الخفَّة والسُّرعة في طلب الجزاء على الخير واستعجال النَّفس لذلك، فجاء رصفُ الكلمتين تلبيةً لرغبتها، بينما نجد الطَّرف الآخر من المقابلة المتحدِّث عن جانب الأعمال السَّيِّئة، جاء فيه تفصيلٌ وإسهابٌ حيث جاءت الجملة في ثماني كلماتٍ إمعانًا في وصف حالة النَّفس، ثُمَّ إنَّه فَصَلَ بين ﴿سُوٓءٍ﴾ و﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، بخمس كلمات من نظم الآية، ولا يخفى أنَّ هذا الفصل يُشيرُ إلى مدى رغبة النَّفس أن تكون المسافة بينها وبين عملها السَّيِّئ بعيدة جدًّا، وهذا من انسجام النَّظم مع المعنى في طرفي المقابلة.

تجدُّدُ الطَّلب للخير واستقرار النَّفس بحضوره، واستمرار الحسرة بالسُّوء بعد وقوعه

بلاغة التَّعاقُبِ والتَّناوب بين المضارع والماضي في الآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ عبَّر بالفعل المضارع ﴿تَجِدُ﴾، ثُمَّ بالماضي ﴿عَمِلَتْ﴾؛ ليدلَّ ذلك على تجدُّد الطَّلب لتلك الأعمال في النَّفس، ثُمَّ تستقرُّ، وتطمئنُّ لحضور

ما عملت من الخير، فتُطوى معه صفحة الهموم، وتبدأ الحياة المستقرَّة في جنان الخلد.

أمَّا في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾؛ فعبَّر بالفعل الماضي، ثمَّ المضارع في وصف حال النَّفس مع ما عملت من سوءٍ؛ إذ لم يكن في حسبانها شيء، فلمَّا أُحضِرَ عمل السُّوء؛ أورد على خاطرها اضطراب الحال، بل هي في اضطراب متجدِّد، فلا يهدأ لها بالٌ إلَّا أن تطمئنَّ أن يكون بينها وبين سوء أعمالها أمدٌ بعيدٌ لا ينقضي من الزَّمان أو المكان.

فائدة التَّحذير بعد الوعيد والتَّهديد:

الوعظ والزَّجر تأكيد للوعيد ومبالغة في التَّهديد

قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، أسلوبٌ من أساليب التَّحذير، ومخرجه الوعظ والزَّجر[1]؛ لتأكيد الوعيد[2]، ويجوز أن يكون الكلامُ تكريرًا للتَّحذير الأوَّل الوارد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: 28]، لزيادة تقرير هذا المعنى، ويجوز أن يكون الأوَّلُ تحذيرًا من موالاة الكافرين، والثَّاني تحذيرًا من أن يجدوا يوم القيامة ما عملوا من سوء مُحْضَرًا[3].

سرُّ التَّذييل بذكر الرَّأفة بعد التَّحذير والوعيد:

التَّذكير بأنَّ التَّحذير لمصلحة العباد حالًا ومآلًا

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ تذييلٌ جاء بعد التَّحذير على عادة النَّظم القرآنيِّ في الجمع بين التَّرغيب والتَّرهيب؛ حيث بَيَّن سبحانه أنَّه ذو مغفرة وذو عقاب أليم، لتُرجى رحمتُه، ويُخشى عذابُه[4].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونيَّة: 5/222.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/16.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/224.
(4) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 2/13.

وذيَّلَ بِذِكْرِ الرَّأفة أيضًا للتَّذكير بأنَّ هذا التَّحذير هو لمصلحة المُحَذَّرين[1]، فأشار إلى أنَّه تعالى نهاهم، وحذَّرهم رأفةً بهم، والرَّأفة هي أشدُّ الرَّحمة[2]، ومُراعاةً لصلاحهم، ومن آكد الرَّحمة والرَّأفة رأفتُه سبحانه بعباده المؤمنين، فكان المعنى: أنَّه لمَّا ذكر وعيد الكفَّار والفسَّاق؛ ذكر وعد أهل الطَّاعة، فقال: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، أي: كما هو منتقمٌ من الفسّاق، فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين[3].

بديعُ اللَّفِّ والنَّشرِ غيرِ المرتَّب:

حصر سوء العمل بين خيرين؛ ليُعْلم أنَّ رحمة الله تسبق غضبَه

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ لفٌّ يُصوِّر عملَ النَّفس خَيْرَه وشَرَّه، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ نشرٌ يتضمَّن تحذيرًا لعباده، ورأفةً منه سبحانه، فحذّرهم من ارتكاب المعاصي، بعد أن صوَّر المشهد وخطورته، وما قد أصاب الإنسان من رُعْبِ اللِّقاء بسيِّئاته، ثُمَّ أبان عن فائق رحمته سبحانه؛ تشجيعًا للخير من الأعمال، فكان اللَّفُّ بعكس النَّشر.

ومن فوائد اللّفِّ والنَّشر غير المُرتَّب أنَّه: حصر سوء العمل بين خيرين: خير العمل، وخير الرَّحمة والرَّأفة من الله تعالى، مِمَّا يبثُّ التَّفاؤل في نفوس المتلقِّين من المؤمنين، وليُعلم أنَّ رحمة الله – سبحانه – سابقةٌ وغالبةٌ على عذابه ونقمته.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأمد الغاية والمُدَّة، وقد تَنْحَصِرُ، والأبد المُدَّةُ المطلقة الَّتي لاحدَّ لها

الأبد والأمد:

الأمد: الغاية، تقول: بَلَغَ أَمَدَهُ، أي: غايتَه، والأمد والأبَد مُتقاربان لكنَّ الأبد عبارةٌ عن مُدَّةِ الزَّمان الَّتي لا حدَّ لها، ولا تَتَقَيَّد، يُقال:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/224.
(2) المُبرِّد، الكامل: 2/105.
(3) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/16.

أبد الآبدين، مَعْنَاهُ: دهر الدَّاهرين، وعصر البَاقِينَ، أَي: يبقي مَا بَقِي دهر وداهِرٌ[1]، ولا يُقال: أَبَد كذا.

والأمد: مُدَّةٌ لها حدٌّ مجهول؛ إذا أُطْلِقَ، وقد ينحصر، فيُقال: أَمَدُ كذا، كما يُقال: زمن كذا، فالأمد: يُقال باعتبار الغاية[2].

(1) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (أمد)، والكفويُّ: الكليات، ص: 32.
(2) المناويُّ، التَّوقيفُ على مُهِمَّاتِ التَّعاريفِ، ص: 61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»